الشيعة في مصر إبان عهد صلاح الدين الأيوبي

"بين التهميش والإقصاء السياسي"

[٥٦٤ - ٥٨٩هـ / ١١٦٩ - ١١٩٣م]

د . إبراهيم محمد علي محمد مرجونة
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة دمنهور

العدد السابع والثلاثون
يوليو ٢٠١١م

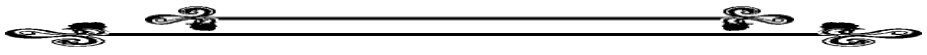

مقدمة :

لقد تبوأت الدولة الفاطمية (٣٥٨ – ٥٦٧هـ / ٩٦٩ – ١١٧١م) مكانة متميزة في تاريخ مصر الإسلامية، و احتلت أهمية خاصة لدى المؤرخين قديمًا و حديثًا، و يرجع ذلك إلى عدة أسباب، منها :

كَون الدولة الفاطمية أولَ دولةٍ مستقلةٍ استقلالا تامًا و حقيقيًا تحكم مصر، بلا تبعية للخلافة العباسية، و جعلت القاهرة مركزًا للدولة المترامية الأطراف و التي شملت الشام و الحجاز و شمال أفريقيا و بعض جزر البحر المتوسط ؛ فضلا عن كونها أول دولة شيعية تحكم مصر الإسلامية، و آخر دولة حتى وقتنا الحاضر، و قد أثار مذهبهم الشيعي، وحقيقة انتسابهم إلى بيت النبي (ﷺ) جدلا كثيرًا بين المؤرخين الذين حاولوا إثبات أو نفي حق الفاطميين في خلافة المسلمين، وهذا ما جعل الدولة تتعرض لهجومٍ عنيفٍ من جانب المؤرخين الذين انتموا لمذهب أهل السنة، لاسيما أن الدولة الفاطمية كانت مسبوقة في حكمها لمصر بقوة سنية (الدولة الإخشيدية)، و تلتها في حكم مصر أيضًا قوة سنية(الدولة الأيوبية).

و فور ظهور صلاح الدين و تقلده منصب الوزارة في الدولة الفاطمية بمصر عام ٥٦٤هـ/١١٦٩م عمل على تقويض أركان الدولة الفاطمية في مصر، فهمش الشيعة و أقصاهم، لتبدأ مرحلة جديدة عادت فيها مصر إلى قلب العالم الإسلامي السنيّ تحت مظلة الخلافة العباسية و قيادة الأيوبيين، و على رأسهم صلاح الدين الأيوبي، لتؤدي دورًا جهاديًا في مواجهة خطر الفرنجة.

يتناول هذا البحث حالات التهميش التي تعرض لها الشيعة في عهد صلاح الدين الأيوبي ، فقد حكم الشيعة (الدولة الفاطمية) مصر زهاء قرنين من الزمان (٣٥٨ – ٥٦٧هـ / ٩٦٩ – ١١٧١م) و أرادوا بكل قوة غزو البلاد الإسلامية، و السيطرة عليها فكريًا، و دعويًا، و سياسيًا.

و جاء اختيار الباحث لهذا الموضوع لأهميته، و جدته، و للوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدَّت إلى تهميش الشيعة من قبل صلاح الدين ، و قد اقتضت طبيعة البحث أن يتم تناوله خلال المنهج التاريخي ، و قد طبقت من خلاله : المنهج البنائي القائم على وضع كل التفاصيل المتناثرة في بوتقة واحدة من أجل الوصول إلى تصور واضح عن حقيقة التهميش، و أسبابه ، هذا بجانب المنهج التحليليّ القائم على تحليل الروايات التاريخية الواردة في المصادر المختلفة من أجل الوقوف على الحقيقة التاريخية المتسقة، كما استعان الباحث بالمنهج النقدي حتى يتسنى له نقد الروايات التاريخية، و مقارنتها بمثيلاتها، أو بالواقع، و الوقوف على مدى صحتها متجردًا قدر المستطاع من الهوى بغية وضع تصور موضوعي عن تهميش الشيعة في عهد صلاح الدين الأيوبي.

قد قُسِمَ البحثُ إلى عدة محاور، المحور الأول : التهميش لغةً، و اصطلاحًا، المحور الثاني : الشيعة في مصر وبداية ظهور صلاح الدين، المحور الثالث : تهميش الشيعة والآثار المترتبة على ذلك، وتناول هذا المحور الإقصاء السياسي، و التهميش المذهبي و الفكري و الثقافي، و التهميش الاجتماعي. و كان لزامًا علينا قبل الخوض في غمار الحديث عن الشيعة في مصر، و تهميشهم من قبل صلاح الدين أن نتناول مصطلح التهميش، و نحاول إلقاء الضوء على تعريفه لغةً، و اصطلاحًا.

أولا : التهميش لغةً و اصطلاحًا :

التهميش من مصدر (هَمَّشَ)، و كتب تهميشًا على حاشية الكتاب : أي ما يُدون من تعاليق، و بيانات على الهامش، و حاول تهميشه أي جعله على الهامش، و عدم إعطائه أهمية.(١)

إن كلمة التهميش ليست جديدةً في اللغتين العربية، و الإنجليزية، فمصطلح التهميش يوازي في اللغة الإنجليزية مصطلح Marginalization، و يعني وضع الأشخاص، أو الجماعات على هامش

الأحداث، و الأفعال، و هناك مصطلح آخر وهو Social Exclusion و الذي يعني العزل، أو الإقصاء، أو الاستثناء، أو عدم الشمول. (٢)

و التهميش في بعض جوانبه يعني عدم قدرة المجتمع على تفعيل كل أفراده بالدرجة التي يحققون فيها ذاتهم، ويبرزون قدراتهم، و مواهبهم، و طاقاتهم؛ لأن التفعيل الجيد لكل عناصر المجتمع يظهر الفروق الفردية، و يفرز عناصر جيدة تساعد في القدرة على اختيار الأنسب، و الأفضل. (٣)

و يوافق مفهوم التهميش الاستبعاد الاجتماعي، الذي هو نقيض الاندماج، أو الاستيعاب، فهو موضوع حيوي، وكاشف لطبيعة البنية الاجتماعية في أي مجتمع، فالاستبعاد ليس أمرًا شخصيًا، و لا راجعًا إلى تدني القرارات الفردية فقط، بقدر ما هو حصاد بنية اجتماعية معينة، و رؤى محددة، و مؤشر على أداء هذه البنية لوظائفها. (٤)

و قد أقام الرسول – ﷺ – المجتمع الإسلامي على مبدأ المؤاخاة، و ربط الجميع برباط الأخوة، و الدم، و رفض العصبيات، و التجمعات التي تُبنى على جنس، أو لون، أو لغة، فاستفاد من جميع الطاقات المبدعة، و وضع كل إنسان موضعه، و شغلهم بكل ما هو مفيد، و لم يقرب أحدًا لقرابة، أو لمغنم ، فالكل يرى نفسه متوافقًا مع المجتمع حتى يهود المدينة المنورة عندما هاجر إليها الرسول – ﷺ – جعلهم جزءًا من نسيج المجتمع الإسلامي، فلم يهمشوا، و انصهر الجميع في بوتقة واحدة، و صار الجزاء من جنس العمل. (٥)

و لقد دعت التعاليم الإسلامية إلى قبول الآخر، و أن يكون التعامل مع الجميع وفق مرضاة الله، و معيار التفاضل بين الأفراد هو حيازة الصواب، و الإخلاص، و الكفاءة في العمل، و ليس في كتاب الله آية واحدة يُمدح فيها أحدٌ بنسبه، و لا يُذم أحدٌ بنسبه، و إنما يُمدح بالإيمان و التقوى، و يُذم بالكفر، و الفسوق، و العصيان.ولكن جاءت الدولة الأُموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٤٩م)وكان من أجل عيوبها وأخطائها التحيز للعنصر العربي على

حساب تهميش الآخر وهم الأجناس التي دخلت في الإسلام من غير العرب وكان ذلك من أهم أسباب إنقلاب الموالي والفرس عليها،وسلك العباسيون (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م) العكس وهمشوا العرب لصالح الفرس ثم هُمش العرب والفرس لصالح الأتراك. (٦)

مما سبق يتبين أن الإسلام دعا إلى الاستيعاب، و قبول الآخر، و إيكال الأمر لأهله ؛ لأن النتيجة الحتمية المترتبة على التهميش هي الاضمحلال، فإنه حين تُهمش مجموعةٌ دون سبب علميّ و موضوعيّ، فإنك تدفع بها نحو الاضمحلال؛ و ذلك خلال تحجيم فرص ارتقائها، و محاصرتها على الصعيد الثقافي، في حين تتاح الفرصة لمجموعة أخرى غير مهمشة باحتكار الصواب، أو نيل الحظوة فقط دون سواها.

ثانيًا : الشيعة في مصر، و بداية ظهور صلاح الدين الأيوبي :

انقسم الشيعة فيما بينهم إلى عدة فرق(٧) أشهرها، فرقة الإمامية التي انقسمت بدورها إلى عدة فرق كان من بينها فرقة الإسماعيلية(٨) وُتنسب إليها الدولة الفاطمية التي قامت في المغرب و مصر، و قد حرص الخلفاءُ الفاطميون منذ ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية على تمسكهم بنسبهم إلى بيت النبوة، و الإمام عليٍّ، و السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله - ﷺ -، لذلك فهم يحرصون على ذكر دولتهم في السجلات الرسمية باسم الدولة الفاطمية(٩) نسبةً إلى السيدة فاطمة زوجة الإمام علي بن أبي طالب - ﷺ - و كذلك يسمونها في أحيانٍ أخرى الدولة العلوية(١٠) نسبةً إلى الإمام عليٍّ الجد الشرعي لسلالة خلفائهم، و أُطلق عليهم الشيعة ؛ لأنهم كانوا شيعة عليٍّ، و أنصاره منذ سقيفة بني ساعدة ١١هـ/٦٣٢م التي أسفرت عن تولي أبو بكر الصديق - ﷺ - الخلافة (١١ - ١٣هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤م). (١١)

دافع الشيعة عن أحقيتهم في الحكم، و الخلافة، و أحدثوا القلاقل، و الفتن، و الثورات، و نشروا دعاتهم في أنحاء شتى من العالم الإسلامي ، و

قاومتهم الدولة الأموية(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) بشدة محاولين التصدي لهم ، و سارت الدولة العباسية (١٣٢ – ٦٥٦هـ / ٧٤٩ – ١٢٥٨م) على النهج نفسه ؛ حيث تصدوا لهم بقوة، و عنف، و شراسة، و هذا ما جعل الشيعة يلجؤون إلى سياسة "التقية" أي التخفي، و التستر عن أعين العباسيين أبناء عمومتهم ؛ حتى يأمنوا بطشهم. و في الوقت ذاته نشروا دُعاتهم في مناطق عديدة من العالم الإسلاميِّ ؛ لكي يضعوا بذور الفكر الشيعي بعد حرث العقول ؛ لأن حلم الشيعة بإمامة العالم الإسلامي، و استرداد ما يسمونه حقهم المسلوب في الخلافة، ظل يراودهم دون انقطاع ؛ حتى تحقق هذا الأمر بعدما يقرب من مائة و خمسين عامًا من التخفي، و المعاناة حيث استطاعت الشيعة الإسماعيلية الإمامية أن تصل إلى بلاد المغرب بإفريقية، و تعلن قيام دولة شيعية بعيدًا عن الخلافة العباسية ، و عُرفت هذه الدولة باسم الدولة الفاطمية (٢٩٧هـ / ٩٠٨م). (١٢)

لم يكن هدف الفاطميين إقامة دولة شيعية في بلاد المغرب فحسب، بل كان هدفهم الأساسيُّ إمامة العالم الإسلامي، و من ثم القضاء على الخلافة العباسية في بغداد، و لذلك اعتبروا مدة إقامتهم في بلاد المغرب بمثابة الفترة التمهيدية التي يعدون فيها العدة للانطلاق في العالم الإسلامي غربًا، و شرقًا، و نشر مذهبهم الشيعي، و لكن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (الثالث) (٣٠٠ – ٣٥٠هـ / ٩١٢ – ٩٦١م) تصدى لهم في الغرب فاتجهوا إلى مصر، و تحققت لهم السيطرة عليها في عهد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله (٣٤١ – ٣٦٥هـ / ٩٥٢ – ٩٧٥م) بعد عدة محاولات قام بها الخلفاء الفاطميون. (١٣)

و قد أدرك جوهر الصقلي فور دخوله مصر عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م طبيعةَ المجتمع المصريِّ، فقدم لهم عهدَ أمانٍ كتبه بِخَطِه، و صار بمثابة وثيقة، و كانت مقبولةً تمامًا من أي قارئ سنيٍّ، فقد تعهد فيها بترك الحرية الدينية للمصريين، و أن يجري الأذان، و الصلاة، و صيام شهر رمضان، و فطره، و قيام لياليه، و الزكاة، و الحج، و الجهاد على أمر الله، و كتابه، و

ما نص نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، و إبقاء أهل الذمة على ما كانوا عليه[١٤]، و أن تكون المواريث على ما نص عليه القرآن، و السنة، و إسقاط الرسوم الجائزة التي لا يرتضي أمير المؤمنين الفاطمي إثباتها على المصريين، و أن يقوم بترميم المساجد، و يوقف عليها الأوقاف، و العطايا، و يقدم العطاء الوفير للمؤذنين، و الأئمة في المساجد. [١٥]

وبعد أن استتب الأمر لجوهر، و للشيعة الفاطميين في مصر قام بسلسلة من الإجراءات التهميشية للسنة في النواحي العقائدية، و الإدارية، و التنظيمية، و لم يلتزم بما قطعه على نفسه من عهودٍ، و مواثيقَ معلنةٍ. و من أمثلة ما قام به من تهميش السنة في مصر عزلُ الولاةِ و العمال، و إحلال الإدارة المغربية الشيعية محل الإدارة المصرية السنية "لم يدع عملا إلا جعل فيه مغربيًا شريكًا لمن فيه".[١٦]

وَاصَلَ جوهر عمليات التهميش حيث قطع خطبة العباسيين من على منابر مصر، و حذف اسمهم من السكة، و أحل اسم الخليفة المعز في كل ذلك، و أزال السواد شعار العباسيين، و ألبس الخطباء في الجوامع الثياب البيضاء شعار الفاطميين، و ضرب سكة حمراء عليها اسم المعز لدين الله الفاطمي عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م. [١٧]

و أعلن عن صيام رمضان ثلاثين يومًا بلا رؤية للهلال، و هذا على حسب الفقه الفاطميِّ الإسماعيليِّ، و صلى جوهر في جامع ابن طولون عام ٣٥٩هـ/٩٧٠م، و أمر المؤذن بالأذان "بحي على خير العمل"، و طالب أن يقال في الخطبة "اللهم صلِّ على محمد النبي المصطفى، و على عليٍّ المرتضى، و على فاطمة البتول، و على الحسن، و الحسين سبطي الرسول". ، ولكن الدولة الفاطيمية إعتمدت على بعض العناصر السنية في الوزارة مثل أبو الحسن علي بن سلار الملك العادل سيف الدين(٥٤٤هـ/١١٤٤م)، وسمحت بوجود مدارس سنية بالإسكندريةالتي ظلت على مذهبها السني طيلة العصر الفاطمي. [١٨]

يتضح من ذلك أن الدولة الفاطمية الشيعية بقيادة جوهر الصقلي اتبعت سياسة تهميشية للسنة، و حاولت عزلهم، و إقصاءهم ليحل المذهب الشيعي محل المذهب السني، و لم يشأ جوهر لنفسه أن يحل أشخاصًا من طرفه في محل الإدارة المصرية قبل أن يتعرف على نظامها جيدًا، و لا سيما أن الإدارة المصرية كانت أكثر تعقيدًا، و تحضرًا من تلك التي عهدها في المغرب، فشارك المغاربة المصريين في الإدارة حتى تعلموا، ثم عزل المصريين لصالح المغاربة.

كان دخولُ الفاطميين مصرَ بمثابة الانقلاب الدينيِّ، و الثقافيِّ، و الاجتماعيَّ الذي صحبه تحولٌ شاملٌ في عديدٍ من الأنظمة ، حيثُ كانت الدولةُ الفاطميةُ أولَ دولةٍ تحكم مصر حكمًا مستقلا لا يتعلق حتى بالولاء الاسميِّ للخليفةِ العباسيِّ ببغداد، و سيطر الفاطميون على الشام، و فلسطين، و الحجاز، و تحكموا في أهم ثلاثة مراكز إسلامية كبرى الفسطاط، و دمشق، و المدينة المنورة، بالإضافة إلى القاهرة التي اتخذوا منها حاضرةً لهم، و مركزًا لنشر المذهب الشيعي الإسماعيليِّ.(١٩)

مرت الدولة الفاطمية بعصرين رئيسين، عُرِفَ أولهما بعصر الخلفاء العظام (٣٥٨ – ٤٦٦هـ / ٩٦٨ – ١٠٧٣م)، و هو عصر الازدهار، و التقدم، و الرقي، و قد استطاع خلفاء هذا العصر مد نفوذهم الخارجي إلى اليمن، و الحجاز، و الشام، و المغرب، و صقلية، و بلغت الدولة أوج مجدها في تلك الحقبة، ثم جاء العصر الفاطمي الثاني (٤٦٦ – ٥٦٧هـ / ١٠٧٣ – ١١١٧م) الذي عُرف بعصر الوزراء العظام ، و اتصف بضعف الخلفاء، و سيطرة الوزراء الأقوياء على مقاليد الأمور، و كان بدر الجمالي (٤٦٦هـ / ١٠٧٤م) أول هؤلاء الوزراء الذين سيطروا على أمور الحكم في الدولة الفاطمية. (٢٠)

و منذ عام ٤٦٧هـ/١٠٧٤م صارت الوزارة وزارة تفويض يُقال لمتوليها أمير الجيوش، و لم تعد وزارة تنفيذ، و أصبح الوزير يجمع إلى جانب قيادة الجيوش جميع الإدارات المدنية، و القضائية، و الدينية، و لم

يعد للخليفة سوى السلطة الرمزية، و أصبح صراع الوزراء، و كبار رجال الدولة هو طابع العصر الفاطمي الثاني. و قد أدى هذا الصراع إلى نهاية الدولة نفسها[٢١] ؛ فإبان عهد آخر خلفاء الدولة الفاطمية بمصر الخليفة العاضد لدين الله (٥٥٥ – ٥٦٧هـ / ١١٦٠ – ١١٧١م) حدث صراعٌ مريرٌ بين الوزير شاور بن مجير السعدي والي الصعيد، و منافسه على الوزارة أبي الأشبال ضرغام بن عامر (مقدم أمراء – صاحب الباب)، و هي رتبة تلي الوزارة مباشرة، و ذلك عام (٥٥٨هـ / ١١٦٣م). و قد أدى هذا الصراع إلى استعانة كل من الخصمين بقوى خارجية للتغلب على الآخر، فاستنجد شاور بالسلطان العادل نور الدين محمود صاحب الشام لاستعادة منصبه من ضرغام، و وعده مقابل ذلك بثلث خراج مصر، و أن يأتمر بأمر نور الدين محمود في مصر لا بأمر الخليفة العاضد الفاطمي. [٢٢]

أما ضرغام فقد استعان بعموري ملك بيت المقدس(٥٥٧–٥٧٠هـ/١١٦٢–١١٧٤م)، و عرض عليه مبلغًا من المال نظير مساندته فبدأت الأطراف الخارجية تتدخل لنصرة حليفها، و السيطرة على مصر، و قبل عموري ملك بيت المقدس عرض ضرغام عام (٥٥٩هـ / ١١٦٤م)، و لاسيما عندما أخبره أنه في حالة الانتصار ستكون مصر مقاطعةً تابعةً لبيت المقدس، و استعد عموري للتدخل، و لكنه لم يكن يملك قواتٍ كافيةً لذلك ، فضلا عن أن نور الدين محمود نجح في تحويل أنظار الفرنج إلى ناحية بانياس ليحمي تقدم قوات شيركوه، و قام في الوقت نفسه بإرسال جيش بقيادة أسد الدين شيركوه عام (٥٥٩هـ / ١١٦٤م)، و بعد عدة حروبٍ، و حملاتٍ متتالية كان مسرحها مصر (٥٥٩ – ٥٦٢هـ / ١١٦٤ – ١١٦٧م) قُتل ضرغام عام (٥٥٩هـ / ١١٦٤م)، و استعاد شاور الوزارة، و لم يفِ بوعوده تجاه نور الدين محمود، و استبد بأمور البلاد. [٢٣]

ضاق الخليفة الفاطمي العاضد ذرعًا بفساد وزيره شاور، فأرسل يستنجد بنور الدين محمود ليخلصه منه فاستجاب الأخير، و جرد حملةً ضخمةً بقيادة القائدين أسد الدين شيركوه، و صلاح الدين (٥٦٤هـ /

١١٦٩م). و في هذه المرة لم يجد شاور أمامه سوى الاستنجاد بالفرنجة مقابل ألف دينار يوميًا، و دارت رحى الحرب، و نتج عنها حرق الفسطاط، و قُتِلَ شاور، و انتصر شيركوه الذي سرعان ما قدم له العاضد الشكر، و الامتنان، و قلده الوزارة في الدولة الفاطمية مكافأةً له، و لقبه بالملك المنصور، غير أنه توفي فجأة، و قبل مرور شهرين على وزارته، فاختار الخليفة العاضد صلاح الدين عام (٥٦٤هـ / ١١٦٩م) ليكون خلفًا لعمه في الوزارة. (٢٤)

ثالثًا : تهميش صلاح الدين للشيعة، و الآثار المترتبة على ذلك :

لجأ صلاح الدين ألى اتخاذ عديدٍ من الإجراءات التي جعلت من الشيعة فئةً مهمشةً داخل المجتمعِ المصريِّ، و كان ذلك خلال فترة وزارته للخليفة الفاطمي العاضد، و الفترة اللاحقة لها بعد زوال الدولة الفاطمية بموت العاضد عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م و من بين هذه الإجراءات :

[١] الإقصاء السياسي :

كانت الدولة الفاطمية في مصر تسيطر على موارد البلاد، و تمتلك نسبيًا قوة عسكرية، و تشرف على النظام القضائيِّ، و على ديوان الإنشاء. و كان يشارك في تسيير شؤون الدولة أفرادٌ ينتسبون إلى ديانات، و طوائف مختلفة كـ (الإسماعيليين – و المسلمين السنة، و الأقباط)، و إلى مجموعات عرقية متنوعة (العرب، و الأرمن، و السودان). و لم تتم عملية تصفية الدولة الفاطمية، و القضاء عليها إلا بفضل خطة محكمة نفذها صلاح الدين، و مؤيدوه ضد النظام الفاطمي، ففي البداية حرص صلاح الدين على تقوية مكانته فاستقدم والده، و إخوته ؛ ليلحقوا به في مصر ، و عمل منذ اللحظة الأولى من تقلده مقاليد الوزارة عام (٥٦٤هـ / ١١٦٩م) على تهميش الشيعة، و محو آثار الدولة الفاطمية بمختلف الوسائل الحربية، و المدنية، و

الثقافيــة، فعلــى الجــانبين الحربــيِّ، و السياســي عــزل و اســتبعد الجنــود الفاطميين، و لاسيما العبيد السود، و الأرمن، و أخذ في تكوين جيش قوامه المماليك الأسدية ، و سائره من الأحرار، و الأكراد الذين دخلوا في خدمته ، فضلا عن المماليك الأتراك الذين اشتراهم، و سماهم الصلاحية، نسبةً إلى اسمه، أو الناصرية نسبةً إلى اللقب (الناصر) الذي أضافه عليه الخليفةُ الفاطميُّ العاضد حين ولاه الوزارة. (٢٥)

أدرك بعض خُدَّام القصر من السودانيين الشيعة، و التابعين لهم مصير الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي، فعملوا على مكاتبة عموري ملك بيت المقدس عام (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) من أجل مهاجمة الفرنجة لمصر. و عند خروج صلاح الدين لمواجهتهم، و التصدي لهم قبضوا على من بقي من أصحابه بالقاهرة، و انضموا إلى الفرنجة في محاربته حتى يستطيعوا الإيقاع به، و الانتصار عليه، و يقتسموا البلاد بينهم، و بين الفرنجة، لولا أن كتابهم وقع في يد صلاح الدين فأمر بقتل رئيسهم مؤتمن الخلافة في ذي القعدة عام (٥٦٤هـ / ١١٦٨م). (٢٦)

و قد خطا صلاحُ الدين الأيوبيُّ هذه الخطوة التي انتهت بقتل مؤتمن الخلافة من أجل إضعاف نفوذ حاشية القصر، و لاسيما أن مؤتمن الخلافة كان المتحكم في حاشية القصر، و لا يُرد أمره في شيء، و كانت فرقة حاشية القصر ذات نفوذ، و سطوة هائلين بلغا الذروة في عهد الخليفةِ الفاطميِّ العاضد بحيث صارت تتدخل في شؤون السياسة ، و تمكنت من قتل الوزير المستبد طلائع بن رزيك في دهليز القصر عام (٥٥٦هـ / ١١٦١م)، و لا غرو فهي فرقة كبيرة لم تعرف مصرُ لها مثيلا في أي قصر إسلاميٍّ من قبل. فنجد صلاح الدين يستبد بهم، و يعمل على عزلهم، و إقصائهم، و تهميشهم، و يأمر بقتل زعيمهم مؤتمن الخلافة، و كان خصيًّا أسودَ محنكًا، و تُعد هذه خطوة من صلاح الدين نحو توطيد سيطرته على قصر الخليفة الفاطمي. (٢٧)

أدى مقتل مؤتمن الخلافة إلى ثورة عبيد القصر من السودانيين عام (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)، و كانوا يزيدون عن خمسين ألفًا، فتمكن صلاح الدين من القضاء عليهم بعد معركة استمرت لمدة يومين، و تتبع صلاح الدين فلولهم في الصعيد، و أرسل في اقتفاء أثرهم أخاه الأكبر توران شاه حتى قضى على نفوذهم تمامًا، و كانت لهم على باب زويلة محلة – حارة – تُسمى بالمنصورة فأمر صلاح الدين بتخريبها، و حرقها حتى أصبحت خاويةً على عروشها، و بعد ذلك حرثها، و زرع مكانها بستانًا[٢٨] ثم قام صلاح الدين بتعيين بهاء الدين قراقوش – و كان خصيًا تركيًا أبيض اللون من أتباعه مشرفًا على شؤون القصر و متولي أمره، بحيث لا يجري أي شيء كبيرًا كان أم صغيراً داخل القصر إلا بعلم، و إذن صلاح الدين الأيوبي. [٢٩]

حاول صلاح الدين أن يوطد نفوذه، و يقوي من شأنه فعمل على إضعاف، و تهميش، و عزل القوى المناوئة له، و التابعة للدولة الفاطمية الشيعية، و هي قوة عبيد القصر ، فعمل على إقصائهم، و محاربتهم حتى قضى عليهم. و لم يكتفِ بهذا، بل ضرب، و دمر حارتهم حتى يطمس هويتهم، و يزيل آثارهم من الأرض، و من أذهان الناس، و أصبح أمر عبيد القصر أصحاب السطوة، و السلطة، و التدخل في الشؤون السياسية كأن لم يكن، و إن كان في هذا التهميش ضرورة، و حتمية حتى يستتب الأمر لصلاح الدين دون نزاع ، لكن الأمر شابه قسوة، و عنف .

استمر صلاح الدين في اتباع سياسة العزل، و الإقصاء السياسي تجاه الفاطميين الشيعة، و أتباعهم في مصر، فقام بمصادرة مخصصات الخليفة الفاطمي العاضد، و منعه من المال، و الخيل، و الرقيق ، و لم يبق عنده غير فرس واحد "و استبد بالأمور، و منع العاضد من التصرف ... و صلاح الدين يوالي الطلب منه كل يوم ليضعفه، فأتى على المال، و الخيل، و الرقيق حتى لم يبقَ عند العاضد غير فرس واحد، فطلبه منه، و ألجأه إلى إرساله، و أبطل ركوبه من ذلك الوقت، و صار لا يخرج من القصر البتة".[٣٠]

أدخل صلاح الدين تغيرات كبيرة على نظام الجيش في أعقاب فشل مؤامرة مؤتمن الخلافة حيث تخلص من القادة المصريين مع أنه في أول الأمر بذل لهم المال فأحبوه، و أطاعوه.[٣١] ثم قبض عليهم في ليلة واحدة، و عزل من عزل، و أنزل أصحابه في دورهم، و فرق إقطاعاتهم، و صارت أرض مصر كلها ملكًا لصلاح الدين، و جنوده، و أمرائه، و قيل : إن رجال صلاح الدين إذا استحسن أحدهم دارًا أخرج سكانها منها، و نزل فيها[٣٢]، كما ضمن صلاح الدين السيطرة على موارد الدولة بتولية والده أمر الخزائن كلها في ٢٥ رجب عام ٥٦٥هـ ، ١٦ أبريل عام ١١٧٠م. [٣٣]

و يُفْهَمُ مما سبق أن صلاح الدين لم يكتفِ بتهميش الشيعة، بل همش مجموعاتٍ عرقيةً من العرب، و الأرمن، و السودان، و المصريين ممن ارتبطوا بعلاقةِ ودٍ، و وئامٍ مع الفاطميين الشيعة ، و أراد أن يجمع الكل تحت رايته حتى يتسنى له تنفيذ مشروعه القائم على توحيدِ العالمِ الإسلاميِّ لمواجهةِ الخطرِ الصليبيِّ ، فعمل على إقصاء، و عزل الشيعة، و من ولاهم حتى يوطد أركان، و دعائم نفوذه، و سلطته إيذانًا بقيام دولته.

و ظل صلاح الدين ينفذ خططه في إضعاف، و تهميش الخلافة الفاطمية، و عزل، و إقصاء أتباعها الأقوياء، حتى جاء عام (٥٦٧هـ / ١١٧١م) و فيه أسقط صلاح الدين خطبة الفاطميين، و أمر الخطباء بالدعوة للخليفة العباسيِّ المستضيء بأمر الله(٥٦٥-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م)، و قد تم هذا التحول الخطير في هدوء تام "فلم ينطح فيه عنزان".[٣٤]

و لم تكد تمضي أيام على قطع خُطبة الفاطميين إلا و قد توفي الخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين ليلة عاشوراء (٥٦٧هـ / ١١٧١م) فأمر صلاح الدين بإنشاء الكتب إلى البلاد معلنًا وفاة العاضد، و زوال الدولة الفاطمية، و إقامة الخطبة رسميًا للخليفة العباسي.[٣٥]

غاية القول أن سياسة صلاح الدين التهميشية في النواحي السياسية قد أتت بالثمار المرجوة منها حيث عادت مصر إلى حوزة الخلافة العباسية دون أن يتناطح عنزان، و بذلك وضع صلاح الدين نهاية الدولة الفاطمية في مصر، لتبدأ مرحلةٌ جديدةٌ في تاريخها عادت فيها إلى قلب العالم الإسلاميِّ السُّنِّيِّ، و لتؤدي تحت قيادة الأيوبيين، و مؤسس دولتهم صلاح الدين دورًا مهمًا في توحيد الجبهة الإسلامية، و مواجهة خطر الفرنجة، حيث أدى ضعف و تخاذل السلطة الحاكمة في مصر أواخر عهد الفاطميين إلى زيادة نفوذهم، و سطوتهم، و تهديدهم لوحدة العالم الإسلامي.

و في عام (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) اجتمع الشاعر عمارة اليمني الشيعي[٣٦] مع مجموعةٍ من دعاة الشيعة، و أعيان الدولة العبيدية، و مجموعة من الشيعة المصريين، و انضم إليهم داعي الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوي، و اتفقوا على استعادة نفوذ الشيعة، على أن يكون منهم الخليفة، و الوزير، و بناءً عليه اتفقوا على إثارة الفتن، و القلاقل، و تحالفوا مع السودانيين، و كاتبوا الفرنجة عام (٥٦٩هـ / ١١٧٣م)، و لكن الفقيه الواعظ زين الدين علي بن نجا أذاع سرهم، و كشف أمرهم فأمر صلاح الدين بقتلهم، و صلبهم، و كان من أبرز من قتل، و صلب (عمارة اليمني، المفضل بن كامل القاضي بن عبد القوي داعي الدعاة، و نجاح الحمامي، و عبد الصمد القشه أحد أمراء المصريين).[٣٧]

حاول الشيعة بوسائل شتى أن يكون لهم الظهور المؤثر من جديد في مجريات الأحداث السياسية ففي عام (٥٧١هـ / ١١٧٥م) وثب ثلاثةٌ من الشيعة الإسماعيلية على صلاح الدين إبان وجوده بحلب، و جاء الثلاثة في زي الجنود، و اقتربوا منه فضربه أحدهم بسكين في رأسه فلم يجرحه، و خدشت السكين خده، و تم القبض على الثلاثة، و نُفذ فيهم حكم القتل، و باءت محاولة الشيعة بالفشل. و حدثت في عام (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) فتنة مقدم السودان (كنز الدولة) من صعيد مصر الذي سار بصحبة مائة ألف عبدٍ أسودَ، معظمُهم من الشيعة ؛ ليعيد حكم مصر إلى الدولة الفاطمية

الشيعية، فخرج إليهم أخو صلاح الدين الملك العادل أبو بكر، و أبو الهيجاء الهكاري، و عز الدين موسك، و تأهب الجيش الأيوبي للتصدي لهم، و بالفعل أوقعوا بهم هزيمةً ساحقّة، و قُتِل من السودانيين والشيعة أعدادٌ هائلةٌ، و لم تقم لهم قائمة بعدها طوال حكم صلاح الدين حتى وفاته عام(٥٨٩هـ/١١٩٣م). (٣٨)

في وقفة تقيمية لما تقدم يتبين أن صلاح الدين استطاع عزل، و إقصاء الشيعة سياسيًا، و أوقف تطلعاتهم، و رغبتهم في مد نفوذهم، و استعادة ملكهم المفقود، و اللافت للنظر أن صلاح الدين لم يستخدم مع الشيعة سلاح التفاوض، و الدبلوماسية، بل واجههم بمنتهى الحزم، و القوة، و الشراسة، و كان القتلُ مصيرَ كلِّ من تسول له نفسُه الخروجَ عليه، أو الدعوة لاستعادة النفوذ الفاطمي المفقود.

[٢] التهميش المذهبي، و الفكري، و الثقافي :

قام صلاح الدين بمحاولاتٍ عديدة من أجل تهميش الشيعة، و إزالة آثارهم، و مذهبهم ؛ ليحل محله مذهب السنة فقام بعدة إجراءات منها إبطال أذان الشيعة الذي يُقال فيه "حي على خير العمل" عام (٥٦٥هـ / ١١٧٠م)، و عزل جميع القضاة الشيعة عام (٥٦٧هـ / ١١٧١م)، و استبدلهم بقضاة سنة جاء على رأسهم القاضي صدر الدين أبو القاسم عبد الملك الشافعي، كما جعل القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني المشهور بالقاضي الفاضل رئيسًا لديوان الإنشاء لضمان سيطرته على الناحيتين الدينية، و السياسية حيث مراسلات الدولة. (٣٩)

واصل صلاح الدين تهميشه للشيعة، بأن عمل على طمس الهُوية الشيعية في مصر حيث أمر بإزالة نقوش الفاطميين الموجودة على العملة، و كان بعضها يحمل عبارة "علي ولي الله"، و نزع الرنوك والزخارف التي كانت بمحاريب جوامع القاهرة، و تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين، و أمر بذكر

الخلفاء الراشدين في خطبة الجمعة، و حَوَّلَ دار سعيد السعداء الشيعي الواقعة شمال القصر الفاطمي الشرقي إلى خانقاه للصوفية. (٤٠)

أخذ صلاح الدين في إبراز التشكيك في نسب الفاطميين، و أوضح أنهم غير علويين، و لا ينتسبون إلى بيت النبي – ﷺ – و أنهم من نسل اليهود، و المجوس(٤١)، و أمر بإيقاف الصلاة في جامع الحاكم بأمر الله، و الجامع الأزهر الذي أُسس لنشر التعاليم الشيعية. و لما تم له إضعاف جانب الخلافة الفاطمية، و هزم دعوتها، لم يتردد في إلغائها، ففي عام (٥٦٧هـ / ١١٧١م) جاءت الخطوة الحاسمة بالقضاء على الخلافة الفاطمية في مصر، و ذلك عندما أسقط الخطبة للفاطميين، و أمر الخطباء بالدعوة للخليفة العباسي المستضيء، و ذلك بعد قطع الخطبة العباسية في مصر منذ مائتي عام، و أُعيد السواد "شعار العباسيين" مرةً أخرى، و أصبح يُخطب لصلاح الدين على المنابر بعد الخليفة العباسي، و الملك العادل نور الدين محمود. (٤٢)

و على الجانب الفكري، و الثقافي : هَمَّشَ صلاحُ الدين الدورَ الفكريَّ، و الثقافي للشيعة خلال القضاء على المؤسسات التعليمية، و الفكرية للشيعة، فقد أبطل مجالس الدعوة الشيعية في القصر، و الجامع الأزهر عام (٥٦٦هـ / ١١٧٠م)، و شتت الدعاة، و أغلق الجامع الأزهر. (٤٣)

كان من أهم مظاهر التهميش الفكري، و الثقافي للشيعة أن عَمِلَ صلاحُ الدين على نشر المذهب الأشعري(٤٤) الذي ينسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، و هو أحد علماء القرن الثالث الهجري، و بدأ مع المعتزلة(٤٥)، ثم انشق عنهم، و انضم إلى أهل السنة و الجماعة، و صارت أقواله حُجةً، و آراؤه متبعة ، و وقف في وجه المعتزلة، و أبطل آراءهم المخالفة للحق، و خصوصًا أنه كان من المتعمقين في مذهبهم، و العارفين بعواده، فقد كان صلاح الدين، و جميع ورثة السلاجقة يتعصبون لمذهب الأشعري في الأصول، في مواجهة مذهب المعتزلة العقلي الذي اتبعه

معظم الشيعة، و نادى صلاح الدين بمؤازرة الفكر، و المذهب الأشعري ليحارب من خلاله الفاطمي الشيعي.[٤٦]

و في إطار مساعي صلاح الدين لوقف المد الشيعي، و التصدي له، و العمل على تهميشه قام بغلق خزانة الكتب التي كانت في القصر الفاطمي ، و عُدت من أهم المؤسسات الثقافية الفاطمية، و يُقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام أعظم منها ، فقد حوت ما يربو عن المليون كتاب، أو يزيد في شتى المجالات الفقهية، و اللغوية، و الحديث، و التواريخ، و سير الملوك، و الفلك، و الكيمياء، و وصفها ابنُ أبي طيء: أنها من عجائب الدنيا، و كان يسجل على ظهر كل كتاب اسم الخليفة الذي أُضيفت في عهده إلى الخزانة. [٤٧]

لم يكتفِ صلاح الدين بغلق خزانة الكتب التي بذل فيها الفاطميون جهدًا كبيرًا في تكوينها، و أضافوا إليها نسخًا نادرةً من أرجاء العالم الإسلامي، و أوقفوا عليها الأوقاف، و ألحقوا بها دارًا للتجليد، فقام صلاح الدين عام (٥٦٦هـ / ١١٧٠م) بإهداء بعضها حيث حَصُلَ القاضي الفاضلُ على مائتي ألفِ كتابٍ، ثم خصص يومين من كل أسبوع لعرض باقي الكتب للبيع، و قد استمر هذا الأمر لمدة عشر سنوات، و تخلص صلاح الدين من الكتب ذات الصلة الوثيقة بالعقائد، و التعاليم الشيعية. [٤٨]

وحينما أغلق صلاح الدين خزانة الكتب (بيت الحكمة الفاطمي) وباع كتبها وأسس بدلها المدارس السنية عندئذ نشر الشيعة وعلماء الفواطم رواية إتهام العرب بحرق مكتبة الإسكندرية أيام الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) وكذلك إتهام صلاح الدين بحرق خزانة الكتب ،ونشروا أن أهل السنة هم أعداء للعلم والكتب وهذه الرواية انتشرت على أيدي مؤرخين عاشوا في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي[٤٩].

واصل صلاح الدين سياسته التهميشية تجاه الشيعة فسار على درب السلاجقة في بناء المدارس التي تقوم بتدريس الفقه الإسلامي السني كخطوة

أخيرة للقضاء على الفكر الشيعي، و الدولة الفاطمية، و كان من أهم تلك الخطوات التي قام بها عام (٥٦٦هـ / ١١٧٠م) أن هدم سجنًا كان يُعرف بدار المعونة[٥٠] بجوار جامع عمرو بن العاص ، و أنشأ مكانه مدرسةً للفقهاء الشافعية[٥١] قال عنها المقريزي : "و كان هذا – أي بناء المدرسة – من أعظم ما نزل بالدولة – أي الدولة الفاطمية –".[٥٢]

و قد سُميت هذه المدرسة منذ نشأتها بالمدرسة الناصرية نسبةً للناصر صلاح الدين[٥٣] إلا أن سبط بن الجوزي أطلق عليها المدرسة الصلاحية "أن صلاح الدين كان قد بنى في هذه السنة (٥٦٦هـ / ١١٧٠م) المدرسة الصلاحية للشافعية، و كان موضعها حبس المعونة".[٥٤]

و كانت هناك أيضًا مدرسة ابن زين التجار : و هي مدرسة أخرى شافعية بناها صلاح الدين بجوار الجامع العتيق، أو جامع عمرو بن العاص ، و عُرفت أولا بالمدرسة الناصرية، ثم اشتهرت بمدرسة ابن زين التجار نسبةً إلى العالم الكبير الشافعي أبي العباس أحمد ابن المظفر المعروف بابن زين التجار الذي عكف على التدريس بها مدةً طويلةً إلى أن مات عام (٥٩١هـ / ١١٩٥م) فعُرفت باسمه. [٥٥]

أمر صلاح الدين عام (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) ببناء المدرسة الناصرية الثانية بجوار تربة الإمام الشافعي "ينبغي أن يُقال لها تاج المدارس، و هي أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق ..." [٥٦] كذلك أقام صلاح الدين المدرسة القمحية، بناها بالقرب من جامع عمرو بن العاص لتدريس الفقه المالكي، و أوقف عليها الضياع، و كانت مرتبات الأساتذة، و جرايات الطلبة تُدفع قمحًا، و لهذا سُميت بالقمحية. [٥٧]

و ظهرت أيضًا مدرسة السيوفية لتدريس مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، و كانت في الأصل دارًا لوزيرٍ فاطميٍّ يُدعى عباس العبيدي، و كان سوق السيوفيين على بابها فُعرفت بمدرسة السيوفية. هذا بجانب عديد من المدارس السنية الأخرى التي ظهرت في مصر، و القدس، و دمشق، و ألحق

بكل منها بيمارستانَ (و هي دار لعلاج المرضى)، و أُوقف عليها الأوقاف، و أقيمت للغرض نفسه (تدريس الفقه السني).[٥٨] و حَوَّلَ دور بعض الوزراء الفاطميين إلى مدارس سنية، و بنى مدرسة مجاورة للمشهد المنسوب للحسين بن عليٍّ – ﷺ – بالقاهرة، و جعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء الفاطميين خانقاه للصوفية، و أوقف عليها بعض الأوقاف. [٥٩]

يتضح مما سبق أن صلاح الدين استطاع أن يتصدى للمدِّ الشيعيِّ عن طريق تهميش هذا الفكر، و إقصائه، و إحلال المذهب، و الفكر السني محله، فأغلق منافذ تعلم المذاهب الشيعية، و فتح المدارس، و المساجد على مصراعيها ؛ لتعليم و تدريس مذاهب أهل السنة، و أولى ذلك جل اهتمامه.

و الشيء اللافت للنظر أن صلاح الدين هَمَّشَ، و استأصل، و حجب الفكر الشيعي ، بل طمس الهُوية الفكرية، و الثقافية للشيعة ، و أراد التخلص من الغرس الثقافي الشيعي في مصر حتى لو كان هذا الغرس لا يمت لتعاليم الشيعة بصلة ، و ذلك عندما أغلق خزانة الكتب، و تخلص من محتوياتها، و هدف من وراء ذلك إلى بناء مؤسسات فكرية، و علمية، و ثقافية جديدة على أساسٍ سني ، و التي حملت بين طياتها عديدًا من العلوم الأخرى، و لكن برعاية مذهب أهل السنة، و الجماعة.

[٣] التهميش الاجتماعي للشيعة :

لا شك أن الخطوة التي أقدم عليها صلاح الدين من تهميش الشيعة اجتماعيًا كان لها أثرها البالغ في القضاء عليهم، و على أتباعهم من المصريين، و غير المصريين، فكانت هناك عمليات استبعاد اجتماعي للشيعة، و عزلهم عن مجريات الأحداث و الأمور، و كان من بين هذه العمليات منع رسوم الخلافة في القصر الفاطمي الكبير، و هذه الرسوم كانت تعني الحفلات الرسمية في الأعياد، و المناسبات، و كان من بين ما يتم فيها الخروج للتنزه، و ركوب المراكب، و الجلوس في القصر، كذلك مُنِعَ الخليفة

الفاطمي العاضد من الظهور للناس ، و اعتقل صلاح الدين أقرباءه، و صرف الأنظار عن القاهرة، و حط من قيمتها.[٦٠] فيقول عمارة اليمني : " إن صلاح الدين فعل بالفاطميين، أكثر مما فعله بالفرنجة[٦١]، فقد كانت لدى صلاح الدين رغبةٌ ملحةٌ في إزالة الدولة الفاطمية، و إسقاطها، و محوها من ذاكرة المسلمين السنة.

استولى صلاح الدين على الكنوز التي كدسها خلفاء الفاطميين منذ مجيئهم إلى مصر في الخزائن، حيث حَوَت قصورهم من الجواهر، و الأعلاق النفسية ما لم يكن عند ملك من الملوك، فأهدى صلاح الدين بعض هذه الكنوز لمن حوله، و بخاصة نور الدين محمود، أما الأملاك، و الأراضي، فوُزعت على أقرباء صلاح الدين، و أفراد أسرته، الذين استدعاهم من الشام فأعطى والده نجم الدين أيوب إقطاع الفيوم[٦٢]، و توران شاه (قوص، و أسوان، و عيذاب)، و ذلك بعد هزيمته للسودانيين. [٦٣]

قام صلاح الدين بتوزيع قصور الفاطميين على خواصه، و باع بعضها ، فكان القصر الشرقي الكبير من نصيب أمرائه، و أسكن أباه نجم الدين أيوب قصر منظرة اللؤلؤة على الخليج الذي فيه البستان الكافوري، و تفرق الأمراء على بقية القصور، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كل من استحسن دارًا أخرج منها صاحبها، و سكنها. [٦٤]

أما سكان القصور الفاطمية، فإن بهاء الدين قراقوش" أخرج منهم عشرة آلاف شريف و شريفة من العلويين، و من الخدم ثمانية آلاف بين خادم، و أمة مولدة أو أكثر؛ فأعتق بعضهم، و أهدى أو باع الآخر" [٦٥]، و في ذلك دلالة على تصفية البيت الفاطميِّ الشيعيِّ ليحل محله البيت الأيوبيُّ السنيُّ.

و جاءت قمة التهميش الاجتماعي من قبل صلاح الدين تجاه الشيعة في مصر عندما تعامل بقسوة، و شدة مع أهل الخليفة الفاطمي العاضد، و أولاده، فقد وجد منهم في القصر مائة و ثلاثين رجلا و امرأة، و خمسة و

سبعين طفلا، فقام صلاح الدين بنقلهم إلى دار المظفر بحارة برجوان، و أقر لهم ما يكفيهم، و جعل أمرهم إلى بهاء الدين قراقوش، و فَرَّقَ بين الرجال و النساء ؛ ليكون ذلك أسرع إلى انقراضهم، و وقف تناسلهم[٦٦] "احتاط السلطان على أهل العاضد، و أولاده في موضع خارج القصر جعله برسمهم على الانفراد، و أقر لهم ما يكفيهم، و جعل أمرهم إلى قراقوش الخادم، و فرق بين النساء و الرجال ليكون ذلك أسرع إلى انقراضهم".[٦٧]

و مع ذلك؛ فإن ثورات الشيعة لإرجاع الخلافة الفاطمية لم تنتهِ من مصر حتى بعد استقرار حكم صلاح الدين فيها ؛ نتيجة لقضائه على كل مقاومة ضد حكمه، ففي عام (٥٧٧هـ/١١٨٠م) قام بالصعيد رجلان من أهل إسنا يدعوان للفاطميين، غير أن صلاح الدين استطاع التصدي لهما، و القضاء عليهما. [٦٨]

و في عام (٥٨٤هـ / ١١٨٨م) ثار بعض الشيعة، و نادوا بشعار العلويين، و هتفوا "بآل عليّ بآل عليّ" ظنًا منهم أن أهل القاهرة يلبون دعوتهم، و يخرجون العلويين المعتقلين، و لكن أهل مصر لم يهتموا بدعوتهم، و لم يساندوا ثورتهم فتم القضاء عليهم بسهولة، و يسر. [٦٩] و مردود ذلك إلى أن أهل مصر، لم يعودوا يهتمون بعودة الفاطميين، بقدر اهتمامهم بصالح الإسلام، الذي أصبح مهددًا بشدة من قبل الصليبيين، ولاسيما أن هِمَةَ المسلمين أصبحت متجهةً إلى تكريس كل جهد لحربهم.

على الرغم من أن صلاح الدين نجح إلى حدٍ كبير في القضاء على الشيعة في مصر، و إقصائهم، و وضعهم على هامش الأحداث، و الأفعال؛ فإنهم حافظوا في الشام على مذهبهم، و هم يمثلون فرقًا متعددةً مثل الدُرزية، و الإسماعيلية، و النصيرية، و هذه الأخيرة تعد من أعدى أعداء الإسماعيلية[٧٠]، و هذه الفرق لا تزال موجودة حتى وقتنا الحاضر.

كان معظم الشعب المصري راغباً في عودة المذهب السني وفي الوقت ذاته محباً للفاطمين منتهجاً سياسة مختلفة غير التي اتبعها صلاح الدين

مـع الشـيعة ، فلـم يعبأ أغلـب المجتمـع المصري بالسياسـية الحكوميـة وظـل محباً للفاطمين وتجلـى هذا الحـب فـي القصص الشـعبي المعروف بـألف ليلـة وليلـة حيـث نـرى اهتمـام المصـريين بـبعض خلفـائهم أمثـال الخليفـة الآمـر ومحبوبته البدوية الحسناء وقصر الهودج الذى بناه لها في جزيرة الروضة عندما ضاقت بحياة المدن واشتاقت الى بيئتها الصحراوية الأولى فبنى لها القصر كي تتمتع بالفضاء المحيط به. ومن المعروف أن قصص ألف ليلة وليلة اقتبسها المسلمون الاوائل عن الفرس ووضعوها في قالب إسلامي في العصر العباسي الأول ثم زادوا فيها في العصر الفاطمي بحيث لم يبق من التأثير الفارسي سوى بعض الأسماء الفارسية(٧١). على أن المصريين وإن كانوا قد أحبوا الفاطميين إلا أنهم لم يتابعوهم في مذهبهم الشيعي وذلك لأن الشعب المصري شعب محافظ حتى في المسائل الاعتقادية ، ولهذا ظل على مذهبه السني.

الخاتمة...

أثبتت الدراسةُ أنه بالرغم من محاولات جوهر الصقلي، و خلفاء الدولة الفاطمية منذ ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية بمصر، طمسَ الهُوية السنية، و تهميش السنة لصالح الشيعة الإسماعيلية ،إلا أن غالبية المجتمع المصري لم يعتنق إطلاقًا المذهب الإسماعيلي، و لم يعتنقه سوى

العناصر التي تعاونت مع الخلافة الفاطمية، و هذا ما ساعد صلاح الدين كثيرًا في إقصاء، و تهميش الشيعة، و انتهج صلاح الدين خططًا مشابهة لما فعله الشيعة عند مجيئهم إلى مصر لكن خططهم باءت بالفشل، و نجحت خطط صلاح الدين في تحقيق الأهداف المرجوة منها ؛ لأن معظم المصريين كانوا على مذهب السنة رغم أنهم محكومون من قبل الشيعة الإسماعيلية.

و الشيء اللافت للنظر أن صلاح الدين رغم تميزه بالتسامح، و الرحمة، و أخلاق الفرسان، إلا أنه تعامل بالقوة، و القسوة مع الشيعة ، ولاسيما في النواحي الاجتماعية، محاولا استئصال شأفتهم، و وضعهم على هامش الأحداث، و استبعادهم اجتماعيًا، مما كان له أكبر الأثر في اضمحلال، و تحجيم ارتقائهم، و وقف مدهم الشيعي.

و من النتائج التي خرجت بها الدراسة أن صلاح الدين لم يستخدم مع الشيعة سلاح التفاوض، و الدبلوماسية، بل واجههم بمنتهى الحزم، و القوة، و الشراسة ، و كان الإقصاء، و التهميش، و القتل مصير كل من تسول له نفسه الخروج عليه أو الدعوة لاستعادة النفوذ الفاطمي المفقود، أو محاولة نشر الفكر الشيعي من جديد .

استطاع صلاح الدين أن يقضي على آخر أمل لأتباع الدعوة الفاطمية في مصر بانتهاجه سياسة التهميش، و الإقصاء السياسيّ، و بفضله انتهى دور الدولة الفاطمية السياسي في التاريخ ، و حلت محلها الدولة الأيوبية تحت مظلة الخلافة العباسية، و مذهب أهل السنة، و الجماعة.

تبين خلال الدراسة أن التهميش في بعض الأحيان يحمل بين طياته طوقَ نجاة، و حلولا كثيرة للحكام، عندما تصبح هناك ضرورة ملحة لدرء مفاسد، و اضطرابات فئةٍ بعينها، فيصبح التهميش أحد الحلول المتاحة للتصدي لهذه الفئة.

و على الرغم أن التهميش يكون أحيانًا حلا مناسبًا، فإن الدراسة توصي بالاستيعاب الاجتماعي لكل الأطياف، و المعتقدات، و الأفكار، و قبول الآخر، و الاندماج، و أن يكون الجزاء من جنس العمل، و على حسب ما نصت عليه تعاليم الشريعة الإسلامية حتى يتم التفعيل الجيد لكل عناصر المجتمع، و الاستفادة منها، مما يدفع عجلة التقدم، و الازدهار، و يعلي من شأن القيم، و المبادئ، و الأخلاقيات، و يكتمل معه مفهوم الحضارة في شكلها الآليِّ، و السلوكيِّ، و الثقافيِّ، و الابتكاريِّ.

الخرائط التوضحية

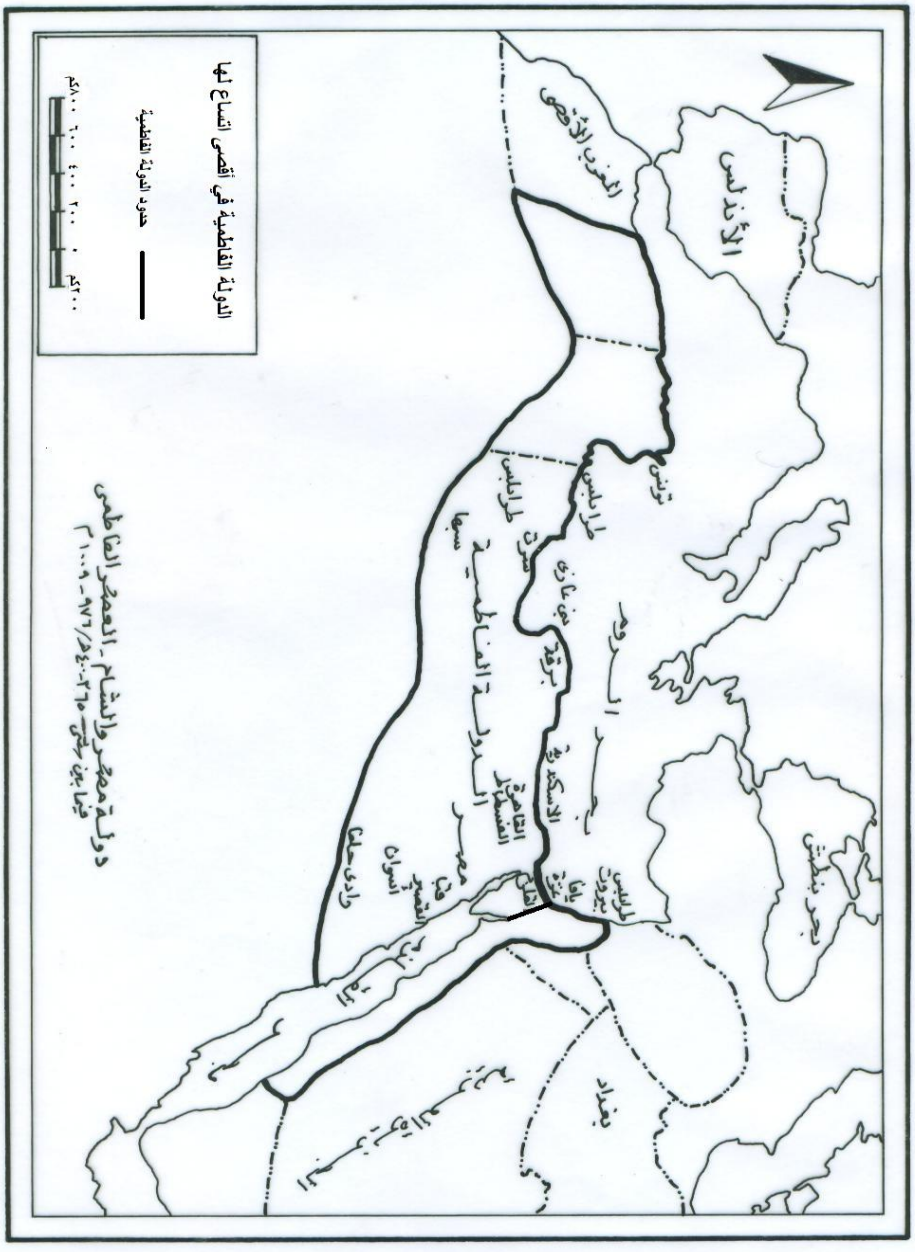

المصدر : حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

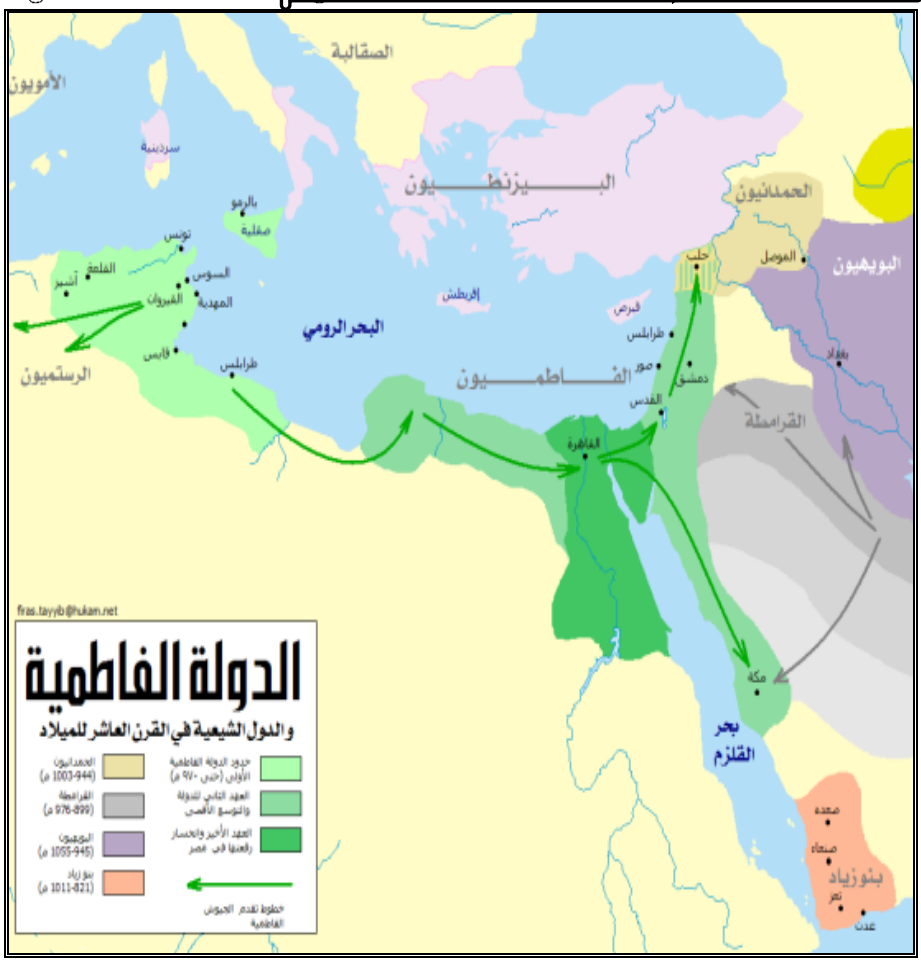

المصدر : http://www.alrahhalah.com/vb/forumdisplay.php?f=37

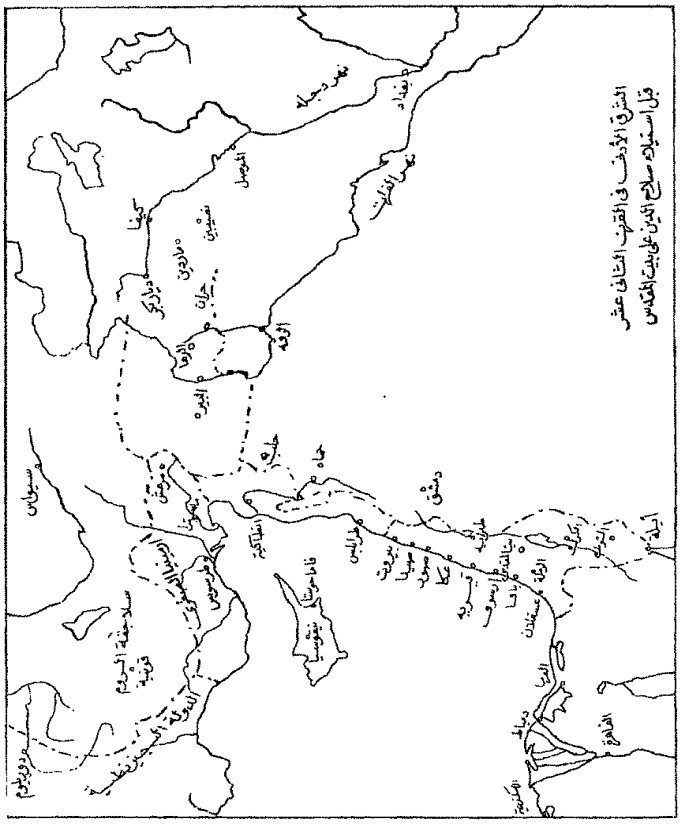

المصدر:

السيد الباز العريني:الشرق الأدني في العصور الوسطي

(١) الأيوبيون،دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٧

المصدر : http://www.alrahhalah.com/vb/forumdisplay.php?f=37

الهوامش:

(١) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب، ج١، م٣، دار الفكر للطباعة و النشر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م، مادة (هَـ – مَ – شَ).

(٢) جون هيلز، جوليان لرغران : الاستبعاد الاجتماعي محاولة للفهم، تقديم أ.د / محمد الجوهري، سلسلة عالم المعرفة، عدد (٣٤٤)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ١٩٩٠م، ص٤٥ – ٤٦.

(٣) د. محمد العبده : "الشورى هل نلتزم بها"، مقال منشور بمجلة رسالة، العدد (٣٨)، وزارة الأوقاف، بغداد، العراق، ١٤٠١هـ/١٩٨٢م، ص١٥.

(٤) جون هيلز، جوليان لرغران : الاستبعاد الاجتماعي، ص٤٧.

(٥) السمهودي (أبو الحسن بن عبد الله) : كتاب وفاء الوفى بأخبار دار المصطفى، ط١، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ص١٥٣، ١٥٥؛ ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) : السيرة النبوية، ج٢، تحقيق الأساتذة : مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٢٣٤.

(٦) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) : الكامل في التاريخ، ١ – ١٣، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ص٤١٨؛ السمهودي : وفاء الوفي، ص١٥٥.

(٧) فرق الشيعة : تبلغ حوالي عشرين فرقة، كل منها تكفر سائرها، فقد انقسمت فرقة الزيدية الشيعية إلى ثلاث فرق، و الكيسانية إلى فرقتين، و الإمامية إلى خمس عشرة فرقة، بالإضافة إلى الغلاة منهم، و قد عدهم بعض العلماء من الفرق الخارجة عن ملة الإسلام ، و منهم على سبيل المثال فرقة عليِّ الإلهيِّ، حيث وضعوا الإمامَ عليًّا في مرتبة الإله.

لمزيد من التفاصيل راجع :

- البغدادي :الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، عقائد الفرق و آراء أعلامها، دراسة و تحقيق : محمد عثمان الخشن، مكتبة بن سينا، القاهرة، د.ت، ص٣٦ – ٤١.
- الأشعري : مقالات الإسلاميين و اختلاف الصليبيين، تحقيق : محمد محي الدين، ج١، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٨٨ – ٩١.
- ابن حزم (أبو أحمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) : الفصل في الملل و الأهواء و النحل، ج٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص١٨٣ – ١٨٨.

(٨) الإسماعيلية : نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، و سموا كذلك السبعية، و تُنسب إلى الشيعة الإمامية الرافضة، التي رفضت إمامة أبي بكر الصديق، و عمر بن الخطاب، و أجمعوا على إمامة الإمام علي عن طريق النص، و الاستخلاف بالاسم، و على حسب ظنهم، و معتقداتهم أن النبي - ﷺ - استخلف عليًّا من بعده، و أن

المسلمين ضلوا بتركهم الإمام، و مبايعة أبي بكر ، و من بعده عمر، و أعلنوا أن الإمامة لا تكون إلا بنص ، و ساقوا الإمامة إلى الإمام جعفر الصادق بن أحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي - ﷺ -، و زعموا أن الإمامة انتقلت إلى ابنه إسماعيل، و هو الإمامُ الشرعيُّ السابع، من سلالة فاطمة، و علـيٍّ، و هو على اعتقاد الفاطميين آخر إمام فاطمي ظاهر لهم، و من بعده توالت الأئمة المستورون.

لمزيد من التفاصيل راجع :
- البغدادي : الفرق بين الفرق، ص٦٤ – ٦٥.
- الأشعري : مقالات، ج١، ص٨٨ – ٩١.
- ابن حزم : الملل و النحل، ج٤، ص١٨٢.
- أبو زهرة (الإمام حمد بن علي) : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد، و تاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٥٢ – ٥٣.

(٩) السجلات المستنصرية : "سجلات و توقيعات و كتب مولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى دعاة اليمن، و غيرهم قدس الله أرواح جميع المؤمنين"، تحقيق : د/ عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤م، سجل رقم (٣٢)، ص١٠٤؛ سجل رقم (٣٤)، ص١٠٩؛ أبو زهرة : المرجع السابق، ص٥٣.

(١٠) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين، و رسوموهم في مصر، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٨؛ السجلات المستنصرية، سجل رقم (٢٧)، (٤٦).

(١١) ابن خلدون (ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن محمد الحضري الإشبيلي) : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المشهور بـ "تاريخ ابن خلدون"، ج٤، بولاق، ١٢٨٤هـ، ص٣٤٨؛ الأشعري : مقالات، ص٣٩ – ٤٠؛ علي عبد الفتاح المغربي : الفرق الكلامية الإسلامية، مدخل ودراسة، ج٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص١٣٧.

(١٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الاجتماعي في العصر العباسي في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس، ٢٣٢ – ٤٤٧هـ / ٨٤٧ – ١٠٥٥م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص١٥٢.

(١٣) القاضي النعمان (أبو حنيفة النعمان أبي عبد الله بن أحمد بن حيون) : رسالة افتتاح الدعوة (رسالة في ظهور الدعوة العبيدية)، تحقيق : داود القاضي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م، ص٣٢٦؛ عماد الدين إدريس (ابن الحسن عبد الله ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) : تاريخ الخلفاء بالمغرب، تحقيق : محمد العيلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٧٦ – ١٨٩.

(١٤) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١ – ٣، ج١، الأول تحقيق : جمال الدين الشيال، الثاني و الثالث تحقيق : محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٠٦؛ د. أيمن فؤاد سيد أحمد : الدولة الفاطمية في مصر، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٤١.

Allovche, A., The Establishment of four Chief Judgeships in Fatimid Egypt, JAOS 105, 1985, pp. 317 – 320.

(١٥) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : المقفى الكبير، ١ – ٨، ج٣، تحقيق : محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ص٩٠ – ٩٣.

Beshir, B.I, "Fatimid Military" Der Islam LV, 1978, pp. 37 – 40.

(١٦) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م) : نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثامن، القاهرة، دار الكتب، ١٩٣١م، الأجزاء ٢٣، ٢٨، ٣٠، تحقيق : حسين نصار، محمد محمد أمين، محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٢٦ – ١٢٧؛ ابن الزيات (شمس الدين أبو عبد الله محمد الأنصاري ت ٨١٤هـ - ١٤١١م) : الكواكب السَّيارة في ترتيب الزيارة، نشره : أحمد تيمور باشا، بولاق، ١٣٢٥هـ، ص٦٣؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج١، ص١١٩.

(١٧) المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج١، ص١١٩؛ عماد الدين إدريس : تاريخ الخلفاء، ص٦٧٤؛ النويري : نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٣١ – ١٣٢.

(١٨) ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ١ – ١٦، ج٤، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٣٢؛ ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ١ – ٨، ج١، تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢م، ص٣٧٩؛ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أبيك ت ٧٦٤هـ - ١٣٦٣م) : الوافي بالوفيات، تحقيق : مجموعة من العلماء، ج١١، النشرات الإسلامية، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٢٥.

(19) Lewis, B., : "The Fatimid and the Route to India", RFSE UNIV. ISTAN6 VL IX (1990), p. 51.

فؤاد سيد أحمد : الدولة الفاطمية، ص١٣٩ – ١٤٠.

(٢٠) المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٣٢؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص٥، السجلات المستنصرية، سجل رقم (٥٦ – ٥٧ – ٥٨).

(٢١) ابن الأثير : الكامل، ج١٠، ص٢٣٥ – ٢٣٦؛ ابن ميسر (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) : "أخبار مصر – المنتقى من أخبار مصر"؛ حققه، و كتب مقدمته، و حواشيه : أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص٢٨ – ٥٤؛ ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) : رفع الإصر عن قضاة مصر، ج١، تحقيق : حامد عبدالمجيد، و آخرين، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٣٠؛ السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) : حُسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، ج٢، حققه : محمد أبو الفضل، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٠٤.

(٢٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٢١ – ١٢٢؛ أبوشامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ت٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) : الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق : محمد حلمي محمد أحمد، ج١، ص٣٣٥؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٧٤ – ٢٧٨.

(٢٣) ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٩م) : "النوادر السلطانية و المحاسن اليوسيفية"، أو سيرة صلاح الدين، تحقيق : جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٣٦؛ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم الحموي ت ٦٩٧هـ / ١٢١٧م) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ١ – ٣، تحقيق : جمال الدين الشيال، ج١، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٤٩.

(٢٤) أبو شامة : الروضتين، ج١، ص٣٩٤؛ ابن الأثير : الكامل، ج١١، ص٣٣٨؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٩٩؛ ساويرس بن المقفع، أسقف الأشمونيين : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بـ "سير البيعة المقدسة، نشره يسّي عبد المسيح و عزيز سوريال، جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٦٣ – ٦٤.

(٢٥) أبو شامة : الروضتين، ج١، ص٤٦٥.

Ehrenkrutz, A.S., "Saladin's in Egypt", Medieval and Middle Eastern studies in Honor of Aziz Suryal Atiya, ed by Sami A. Hanna, Leiden, 1972, pp. 145 – 147.

(٢٦) ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة، ص٦٥ – ٦٦؛ ابن الأثير : الكامل، ط١، ص٣٤٥ – ٣٤٧؛ أبو شامة : الروضتين، ج١، ص٤٥٠ – ٤٥٢.

(٢٧) القلقشندي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١ – ١٤، ج٣، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨م، ص٥٢٤؛ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : الخطط

"المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار" ١ – ٢، ط٢، بولاق، ١٢٧٠هـ، ص٤ – ٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٨٠.

(٢٨) أبو شامة : الروضتين ، ج١، ص٤٥٢؛ ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص١٧٤ – ١٧٧؛ ابن أبيك الدواداري (أبو بكر عبد الله بن أبيك ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) : كنز الدرر و جامع الغرر، الجزء السادس المسمى "الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق : صلاح الدين المنجد، الجزء السابع المسمى "الدر المطلوب في أخبار بني أيوب"، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور، ج٧، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٤٤.

(٢٩) ابن شداد : سيرة صلاح الدين، ص٢٦٢.

(٣٠) المقريزي : الخطط، ج٢، ص٧٥؛ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية و سقوطها في مصر "التاريخ السياسي"، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٣٩٢.

(٣١) أبو شامة : الروضتين، ط١، ص٤٦٥؛ Ehrenkrutz, A.S. op. cit., p. 147؛ د. أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص٣٠٣.

(٣٢) المقريزي : الخطط، ج٢، ص١٥٦ – ١٧٥؛ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة، ص١٩٤.

(٣٣) ابن شداد : سيرة صلاح الدين، ص٦٤؛ ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص١٨٥.

(٣٤) ابن الأثير : الكامل، ج١١، ص٣٦٩؛ أبو شامة : الروضتين، ط١، ص٤٩٣.

(٣٥) المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٢٥؛ ابن قاضي شهبة (بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر الدمشقي ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) : الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق : محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م، ص١٨١.

(٣٦) رثى عمارة اليمني الفاطميين بقصيدة تُعد من أحسن ما قيل في رثاء الدول مطلعها :

رَمَيتُ يا دَهر كف المجد بالشلل و جيده بعد حُسن الحلَى بالعَطَل

و قال عمارة اليمني في الوزير الصالح بن رزيك بعد قتله :

أراد عُلــو مرتبة وقدر فأصبح فوق جذع و هو عالِ
ومد على صليب الجذع منه يمينًا لا تطول على الشمال
و نكس رأسه لعتاب قلبٍ دعاه إلى الغواية و الضلال

قال العماد : فكأنه وصف حاله، و ما آل إليه أمره.

راجع : أبو شامة : الروضتين، ج١، ص٥٧٠ – ٥٧١؛ ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٢١٦؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٦ – ٥٢٨؛ المقريزي : الخطط، ج١، ص٤٩٥ – ٤٩٦.

(٣٧) العماد الكاتب الأصفهاني (أبو عبد الله محمد بن صفي الدين ت٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) : خريدة القصر و جريدة العصر، قسم شعراء الشام، ١ – ٣، تحقيق : شكري فيصل، ج٣، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٤م، ص١٤٠ – ١٤١؛ البغدادي (أبو

إبراهيم الفتح بن علي الأصفهاني ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) : سنا البرق الشامي، تحقيق : فتحي النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٩؛ سبط بن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزافعلي ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، المجلد الثامن، حيدرآباد، الدكن، الهند، ١٣٣٩هـ، ص١٨١؛ أبو شامة : الروضتين، ط١، ص٥٦٠ – ٥٦٢؛ ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢، ص٤٧٦ – ٤٧٩.

(٣٨) ابن تغري بردي : النجوم، ج٦، أحداث عام ٥٧١ – ٥٧٢هـ، ص٧٧ – ٧٨؛ ابن شداد : سيرة صلاح الدين، ص٢٧.

(٣٩) النويري : نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٦٤؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣١٩؛ ابن قاضي شهبة : الكواكب، ص١٩٤.

(٤٠) أبو شامة : الروضتين، ج١، ص٤٨٨؛ النويري : نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٦٢؛ المقريزي : الخطط، ج١، ص٣٦٨، عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة، ص٣٩٢ – ٣٩٤.

(٤١) أبو شامة : الروضتين، ج١، ص٢٠١؛ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة، ص٣٩٠.

(٤٢) ابن الأثير : الكامل، ج١١، ص٣٦٨ – ٣٧١؛ أبو شامة : الروضتين، ج١، ص٤٩٢ – ٤٩٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٢٠٢؛ ابن تغري بردي : النجوم، ج٦، ص٦٣.

(٤٣) أبو شامة : الروضتين، ج١، ص٤٨٦؛ المقريزي : الخطط، ج٢، ص٣٤٣؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣١٩؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية، ص٣٠٤ – ٣٠٥.

(٤٤) الأشاعرة : هم في الأصل ينتسبون إلى ابن الحسن الأشعري، الذي ظهر بالبصرة، و كان أول أمره على مذهب المعتزلة ثم تركه، و استقل عنهم، و مر الأشعريُّ بثلاث أحوال في عقيدته، حال الاعتزال، و حال إثبات الصفات العقلية السبع (الحياة – العلم – القدرة – الإرادة – السمع – البصر – الكلام) الحال الثالث : إثبات ذلك كله من غير تكييف، و لا تشبيه ؛ جريًا على منوال السلف، و عندما كان الأشعريُّ على الحال الثالثة اتبع مذهبه معظم أهل السنة، و الجماعة في عديد من البلدان الإسلامية.
لمزيد من التفاصيل راجع : خالد بن عبد الكريم : أصول و تاريخ الفرق الإسلامية، جمع، و ترتيب : مصطفى ابن محمد، ١ – ٧، ج٥، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٦٠٠ – ٦٣٩.

(٤٥) المعتزلة : الظاهر أن فرقة المعتزلة نشأت مثل الفرق الأخرى، كالخوارج، و الشيعة نشأة سياسية، كرد فعل للفتنة الكبرى، و للمعتزلة خمسة أصول اعتقدوا فيها وهي (القول بالتوحيد – القول بالعدل – القول بالوعد و الوعيد – القول بالمنزلة بين المنزلتين – الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر)، و قد اعتمدوا على التأويل في تفسير القرآن الكريم شأنهم شأن الشيعة.

لمزيد من التفاصيل راجع : خالد بن عبد الكريم : المرجع السابق، ج٤، ص٤١٨ – ٥٤٣.

(٤٦) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة، ص٦٤؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٣٤٠ – ٣٤١؛ أيمن فؤاد سيد : الدول الفاطمية، ص٣٠٥.

(٤٧) أبو شامة : الروضتين، ج١، ص٥٠٧؛ ابن الطوير (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م) : نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، حققه : أيمن فؤاد سيد، النشرات الإسلامية، شتوتجارت، ١٩٩٢م، ص١٢٧.

(٤٨) أبو شامة : الروضتين : ج١، ص٢٦٧؛ المقريزي : الخطط، ج٢، ص٢٥٥؛ ابن الطوير : نزهة المقاتلين، ص١٢٧؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٣٣٦؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية، ص٥٩٤ – ٦٠٩.

(٤٩) Ruth Stellharn Mackensen,: "Back Round of the History of Moslem Libraries (American Journal of Semitic Languages and Literature) January, 1935,p117

؛محمد أحمد حسين ، مكتبة الإسكندرية في العالم القديم ،القاهرة ،١٩٤٣،ص٧٢.

- روى هذه الرواية ابن القفطي (٥٦٨-٦٤٦هـ /١١٧٢-١٢٤٨م) في كتابه تاريخ الحكماء (العصر الإيوبي)، ورورها بعد ذلك عبد اللطيف البغدادي في رحلته، ثم المقريزي في خططه ،ج٢ ،ص١٥٩.

(٥٠) العيني (بدر الدين محمود) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٥٨٤، حوادث سنة ٥٤١هـ إلى سنة ٥٧٨هـ، ورقة رقم ٥٥٨؛ المقريزي : الخطط، ج٢، ص١٨٧.

(٥١) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٧، ص٢٠٧؛ ابن تغري بردي : النجوم، ج٥، ص٣٨٥.

(٥٢) المقريزي : الخطط، ج٢، ص٣٦٣.

(٥٣) نفسه، ص٣٦٢.

(٥٤) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، القسم الأول، ص٢٨٣.

(٥٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٧، ص٢٠٧؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٦، ص٥٥.

(٥٦) السيوطي : حسن المحاضرة، ج١، ص٢٥٧.

Devorshiure R.L. : L'Egypte Musulmane Maisonnée, UV frère, Paris, 1926, p. 52.

(٥٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٥٦؛ ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت٨٠٩هـ / ١٤٠٦هـ) : الجوهر الثمين في سير الملوك و السلاطين، تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي، ط١، ج١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٨.

(٥٨) المقريزي : الخطط، ج٢، ص٣٦٨؛ اليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد بن قطب ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٤م) : ذيل مرآة الزمان، ج٤، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٦٦.

Lene – Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, London, N D, p. 204.

(٥٩) أبو شامة : الروضتين، ج١، ص١٩١.

Creswell, K.A. : The Muslim architecture of Egypt, Oxford, 1959, p. 130.

(٦٠) المقريزي : الخطط، ج٢، ص١٨٤.

(٦١) ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٢١٣؛ عبد المنعم ماجد : الخلافة الفاطمية، ص٢٩٢.

(٦٢) المقريزي : الخطط، ج٢، ص٣٩٤؛ أبو شامة : الروضتين، ط١، ص٢٦٧؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص١٥١.

(٦٣) المقريزي : الخطط، ج٣، ص٥٩.

(٦٤) أبو شامة : الروضتين، ج١، ق٢، ص٥٠٦ – ٥٠٧؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر، ص١٥٦ – ١٥٧؛ ابن الأثير : الكامل، ج١، ص٣٦٨ – ٣٧٠؛

أورد ابن شداد في سيرته : أنه كلما استولى على خزانة من المال وهبها، و كلما فتح له خزائن ملك أنهبها، و لا يبقي لنفسه شيئًا.

لمزيد من التفاصيل راجع : ابن شداد : سيرة صلاح الدين، ص٣٥.

(٦٥) ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٣؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية، ص٣٠٨.

(٦٦) المقريزي : الخطط، ج٢، ص٢١٦، ٢٩٤، ٣٩٦؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية، ص٣٠٨.

(٦٧) أبو شامة : الروضتين، ج١، ق٢، ص٥٠٦، و أورد هذه الرواية أيضًا، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٣٥؛ ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٢٤٣ – ٢٤٧؛ النويري : نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٦٨؛ ابن حجر : رفع الأصر، ج١، ص٣٠٧؛ ابن تغري بردي : النجوم، ج٦، ص٧٠ – ٧١.

(٦٨) المقريزي (تقي الدين أحمد بن عليّ ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : السلوك لمعرفة دول الملوك، ١ – ٤، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، سعيد عبد الفتاح عاشور، ج١، قسم ١، لجنة التأليف و النشر، ١٩٧٢م، ص٧٦.

(٦٩) ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص١٩٧؛ عبد المنعم ماجد : الناصر صلاح الدين الأيوبي، ط٢، بيروت، ١٩٦٧م، ص١١٤.

(٧٠) ابن جُبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) : رحلة ابن جُبير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ص٢٦٨.

Ashtor E,A :A Social and Economic History of the Near East in Middle Ages, London,1976, pp. 3-7.

عبد المنعم ماجد : صلاح الدين، ص١١٤.

([٧١]) المقريزي ،الخطط،ج١ ، ص٤٨٥؛

د .أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م،ص ٢٦٢.